

نشيد الهزيع

الكتاب : نشيد الهزيع

المؤلف : بدّي ابنو المرابطي

الطبعة الأولى : 2020

عدد الصفحات : 44

القياس : 19 X 13

الإيداع القانوني : 2019MO4412

الترقيم الدولي : 978-9954-705-80-3

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

توزيع:

المركز الثقافي للكتاب

الدار البيضاء / المغرب

6، زنقة التيكر

هاتف : +212522810406

فاكس : +212522810407

markazkitab@gmail.com

بيروت / لبنان

الحمراء - شارع المقدسي - بناء بليسي

هاتف : +9611747422

فاكس : +9611744733

سلسلة آفاق أخرى

بديّ ابنو المرابطي

نشيد الهزيع

الهجائية

الصلاة الأخرى من صلوات المنفى الباريسي في آهاتي
الإنسية والجنية لألوان البرّ والبحر



المركز الثقافي للكتاب
النشر والتوزيع

صديقة...

لم يبقَ لي عدمٌ بعدُ قد يستفزُّ الغروبَ.

ولم يبقَ لي عدمٌ آخرُ قد استظلُّ به اليومَ.

لم يبقَ لي ما به قد أُمُّ الهروبَ.

دموعُ الصغيرِ اعترته،

وكيفَ يعودُ الصغيرُ

إلى بطنِ أمِّ

سباها الرحيلُ؟

وكيفَ سأشربُ من غيمةٍ ذرقتها

العيونُ البريئةُ؟

كيفَ سألمسُ ثوبَ البراءةِ؟

حدّثني الحزنُ أن البراءةَ شيءٌ جميلٌ.

ع

صديقة...

قولي قليلاً!

وردّي قليلاً!

فصمتكِ هذا يزيدُ العذاب.

سأشربُ رغمَ غيابِ الشراب،

سأشربُ هذا الغياب.

سأكتبُ يوماً،

أمامَ الخطوطِ الأخيرة،

أني شربْتُ الشراب،

لأنِّي بعدَ الرحيلِ التقيتُ الرحيلَ،

لأنِّي بعدَ السرابِ التقيتُ السرابَ.

غ

صديقةٌ...

ماذا ترينَ أمامكِ؟

ماذا ترينَ؟

فهذي التلالُ أمامكِ.

كُلُّ الشواطئِ تبكي.

وضفَةٌ نهريَ أمامكِ شابتُ من الحزنِ.

سبَّتُ أمامكِ.

نهرى مع النهرِ غاضٍ .
ونهرى من الحزنِ غاضٍ .
وغاضَ مع البحرِ بحرٌ .
وغاضتُ عيونُ الشواطئِ .
غاضتُ عيونُ التلالِ .
وغاضتُ عيونُ كلامي .
... سنياً من الحزنِ ،

فيها لبستُ دموعي ،

وصرتُ أنيناً .

وَعِضْتُ.

هنا ازددتُ مما أنا ها هنا أو هناك،

وعدتُ،

فما زدتُ إلا حيناً.

وَعِضْنَا مع النهر؛

لا ماء نشري رِغَمَ الرِّحِيلِ،

ولا ماءً يَغْسَلُ بَعْضَ الدَّمُوعِ،

ولا ماءً رِغَمَ الجَمُوعِ،

ولا ماءً... لا ماءً.

نَعْرِفُ من هَمَّنَا النَّائِحِ بَيْنَ الضَّلُوعِ.

"ولادة" أكرهها، في الأصيلِ الأليم،

على النفي، قاضي

المدينة؛

أكرهها أن تكون بغياً.

وتلك الدموعُ، البكاءُ، السجونُ، الدماءُ.

وبعضُ الهوى مثلُ بعضٍ ...

ف

صديقة...

ما كنتُ يوماً ساقبُ.

هذا النخيلُ نخيلُ من العهرِ صار.

أأقبلُ أن تأكلَ الناسُ تمرّاً بغياً؟

وأن تُطردَ كلُّ الحقولِ من الأرضِ بغياً؟

ق

صديقة...

حائرة أنتِ فيّ.

أنا الحائر الفرد.

أسأل باريسَ عن هذه الأرضِ، تلك ...

ك

صديقة...

لولاك ما كنتُ أقبلُ هذي المساءات.

لكن أراكِ.

أراني.

وأذكرُ تلكَ التلالَ،

وتلكَ الشواطئَ.

أذكرُ تلكَ السجونَ.

وأبصرُ دمعَكَ.

أبصرُ دمعِي.

وأَمْضِغُ حزني.

أبصرُ تلكَ النجومَ،

وتلكَ التلالَ،

وتلكَ الشواطئَ،

أبصرُ هذا الرصيفَ،

وأبصرُ نفسي.

وأبقى أمامكِ أنتِ،

فبعضُ الهوى مثلُ بعضٍ ...

ل

صديقةٌ...

حُباً...

على زمن الحُبِّ أكتبُ بعضَ حروفي.

وأكتبُ حرفَ انتهائي بدءاً.

وأعرفُ من غيمةٍ عبرتْ بعضَ ماءٍ،

لأزرعَ نفسي مع الفولِ والنخلِ،

أزرعُ نهراً جديداً،

وبحراً جديداً،

وعصراً جديداً،

وأبصرُ خلفَ انتهائي سنيماً من الحبِّ، لي

ولدتُ قصةً قد أكونُ بها،

إن أكنُ والهوى.

هل أكونُ ووجهي كوجهي يصبُّ الطوى؟

وبعضُ الهوى مثلُ بعضٍ ...

م

صديقة...

هذا الزمانُ يراودنا،

ويطارحنا القهرَ.

كيفَ أسألكَ أهلَ القبيلةِ؟

كيف أسائلهم عن معاركها؟

عن حماها؟

وأهل القبيلة قد أشبهوا أهلها.

قتلوا بعضهم.

ثم للبعضِ قد طالبوا بعدَ حينٍ بثأرٍ.

وأهل القبيلة في كل وادٍ أراهم أمامي،
وقد صلبوني ولم أكُ شُبّهتُ،
ثم رموني ارتميتُ،
ولم أرتفع عن حماهم ولكن أردتُ.
وأهل القبيلة يستجوبون: إلى مائهم هل وردتُ؟

ن

صديقة...

هل تبصرين وجودي وراءك؟

هل تبصرين وجوداً من الملح؟

بحراً يسافح شطاً،

ونهرأ مع الليلِ ضلَّ سبيلاً،

وهل يختفي بعضُ هذا النخيلِ؟

وتصبحُ وَاَحَاتُ كُلَّ النخيلِ

صريماً؟

ونبقى وحيدين، أنتِ وإيائي،

نشربُ تحتَ ظلالِ الحقولِ،

وحيدين، شايًا،

ونأكلُ فولاً،

ونبصرُ طلحاً،

ونسْمَعُ نايًا يغازلُ نغمَ الرحيلِ،

وننسى هنالك ذاك اللطفي.

وبعضُ الهوى مثلُ بعضٍ ...

صديقة...

قد قلتُ لليلِ من أنتَ فطالَ.

وقد قلتُ للبحرِ هل جئتَ فهالَ.

وقد قلتُ للنجمِ هل عدتَ فزالَ.

وأبصرتُ في الليلِ بدرًا فمالَ.

وناديتُ أقصى البحارِ.

ركبتُ بموجِ المتاهةِ.

قلتُ، أمامِ المتاهةِ للبرقِ: لبيك!

في زمنِ السفرِ الفاجرِ قلتُ للبرقِ:

هل يشربُ في برقه "وَلَدُ امْسِيكَ"؟

وهل يسمعُ في الأرضِ نخلاً يردد:

ليكَ سعديكَ؟

قالت نجومٌ تجيبك:

بعضُ الهوى مثلُ بعضٍ.

و

صديقةٌ...

ليلاً...

تأخَّرَ هذا الهزيعُ طويلاً.

وهذا الرحيلُ مع الليلِ يشربني في الهزيعِ مهيباً،

وأهربُ عن نَفْسِي،

أو أحاولُ أن أتركَ النفسَ عني قليلاً.

فمأساةٌ هذي التلالِ سَقَتْ "ولدَامسيك"

سُماً وبيلاً،

فكيفَ أعبُّ على الغيبِ ماءَ زماني؟

وكيفَ أغادرُ نفسي؟

وكيفَ أمجُّ كياني؟

وأبقى وجوداً من الغيبِ،

أبقى صفاءً من الغيبِ يَشربُ كلَّ مكاني،

يقذفُ سرِّي الغريبَ،

يصبُّ الهوى

في طريقي،

ويقتل ثانية

"كبلاني"،

ويخبرُ أهلَ المدينةِ

بالسرِّ: "صندوقُ

وضاح يلهثُ

تحتَ الغواني!"؟

ي

صديقة...

هذا المكانُ أخيراً يسألكُ عنكِ.

وهذا المكانُ أخيراً، ينادي أخيراً،

ينادي عليكِ.

أخيراً أحداثُ: تلك التلال،

وتلك الشواطئ.

أنظرُ عينيكِ والحزنَ.

أذكر أهلي هناك،

وأسأل عنهم هنا: هل لهذا الرحيلِ نِهاءٌ؟

وهل سوفَ أسمعُ بعدَ الرحيلِ أحاديثَ

أمي؟

وهل سوف أجلسُ بعدَ الرحيلِ؟

فأهلي هناكَ بعيداً يحبون أن يُنشد

الموج تحت النجوم.

أخيراً أمامك هذا المكان،

وهذا الزمانُ،

وهذا الهوانُ.

أخيراً صديقةً، هلاً ابتسمتِ أخيراً!
وهلاً نظرتِ أخيراً!
وهلاً بكينا معاً آخرَ الليلِ!
هلا التحفنا الهزيعَ أخيراً!
أخيراً ... أخيراً ...

أعودُ إلى وهني

كلما هدّني زميني.

وأصارعُ هذا الزمانَ بأني ندمتُ

على أنني قد وُلدتُ.

أوزعُ نفسي على كل بحرٍ أرى

خلفه جُزراً قد تُصور مأوى ووهماً.

وأنثرُ عند التلاقي بما لا أرى

حرقتي.

حاضري قد تأخرَ خلفَ الهمومِ
التي رسمتني .

أراني هناك بعيداً
بنفسي اصطحبتُ .
أراني هناك فراقاً أليماً .
هناك عزلتُ مراتبَ نفسي .
ولستُ سوى حرقتي .

وَكُلَّمَا أْتَمَنِى التَّصَابِي،
أَعَدُّ الأَقَاصِي الَّتِي بَيْنَهَا أَتَهَادَى...
وَأَذْكَرُ نَفْسِي:

رَحِيلِي قَعُودٌ إِلَى
الْفَجْرِ.
لَا فَجْرَ.

أَذْكَرُ نَفْسِي:
عِزَائِي الْوَحِيدُ طَرِيدٌ،
كَمَثَلِي، يَرُدُّ، حَيْثُ
انْتَفَى وَانْتَهَى، قِصَّتِي.

وهنا تحت ظلّ النخيلِ الذي قد
تهاوى أسائلُ ليلى عن الخيلِ والليلِ.
ليلى تكفكفُ بعَضِ الدموعِ.
وتنظرُ نحوي طويلاً.
هنا ضاعَ كلُّ النخيلِ.
وعمري ضاع.
وضاعَ الرحيلُ.
هنا لم أكن أبدا.
وهنا هل أكون؟

أخيراً أصافحُ نغمَ الرياحِ التي قد أقلتُ
غيابي.

ونغمُ الرياحِ يطاردُ حلمي.
وأذكرُ ليلى.

وأُنكرُ حلمي.

أرتلُّ بعدَ الرقادِ حديثَ الرحيلِ،
وقصةَ نفسي.

أخيراً...

أعودُ إلى وهني

كلما هدّني زمّني.

أختفي في جراحي التي طمرت

بعضها.

أنحني بعدما أنحني.

أرتوي من صدّي مِحي.

قصتي:

منذ عهدِ رأيتُ جراحي

تُبَاعَ جهاراً...

رأيتُ صفاتي العقيمةَ

تُنَجِبني دمعاً تتهادى،

طويلاً هناك أمام امّحائي.

وأبصرتُ نفسي هناكَ

بعيداً

بلا زمنٍ،

وبلا بلدٍ،

وبلا كفنٍ.

لم أجدُ عن طريقِ الرعودِ التي تشتهي

حسرتي.

ولأني هنا قد سكبْتُ وجودي على

ضفةِ المستحيلِ المرابطِ

فوق الجراحِ فإني هنا قد وقفتُ.

هنا وجعي يصطفيني خليلاً
ونبحر، هو وإيائي،
بين عبابِ امّحاءِ البحارِ.
هنا أو هناك أسافرُ بين ضفائرِ حلم تقاذفه
الموجُ قِدمًا،
وأضربُ في الأرضِ صدحًا،
وأجلسُ وحدي مساءً أمامَ بيوتي القديمة،
في ظلِّ غصنٍ،
أنادمه قبل أن يُنْفَخَ الصورُ،

أسأله:

والذين قضوا نحبتهم ها هنا؟

والذين لقوا حتفهم قبلهم ها هنا؟

والذين بكوا بعدهم كلهم ها هنا؟

والدموع التي أمطرت جمعهم

حولهم ها هنا؟

والحمام الذي أنشد الليل

في دفنهم فوقهم ها هنا؟

واليتامى الذين اقتفوا

حزنهم خلفهم ها هنا؟

وغنّي لي الغصنُ صمتاً،
وغنّي ثلاثاً أخيراً لينفخَ الصورُ.
غنّي أخيراً لأمصغَ حزني،
أخيراً...

فبعضُ الهوى مثلُ بعضٍ.

باريس – فاتح مارس

1997

